من يعتذر لرسول الله ﷺ ؟!

كما يعبث الغرب اللاهي بكل شئ باسم الحرية، وتحت شعار الديمقراطية؛ جاء عبث هؤلاء الحيوانات الضالة بما يمس شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم تنفيسا عن حقدهم، وإعلانا عن بغضهم وكفرهم؛ لكي يصدق فيهم قول ربنا سبحانه:

﴿ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَـٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾(آل عمران: ١١٨)

ولقد تملكتني حالة من الدهشة والعجب لردود الأفعال التي أثارتها تلك الرسومات المسيئة لمقام رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ليس لأنها جاءت هزيلة وارتجالية باهتة، ولكن للعقلية التي يفكر بها المسلمون تجاه عدوهم، وبالحالة التي يتعامل بها المسلمون مع دينهم، وبالواجب الذي ينبغي أن يقوم به المسلمون نحو دينهم.

فمازالت العقلية التي يفكر بها المسلمون هي العقلية البسيطة الساذجة المعتمدة على ردود الأفعال والارتجالية دون وعي بالحفظ أو إدراك للأهداف.

ومن مظاهر هذه السذاجة التي تنم عن ضعف العقل وسطحية التفكير إحسانهم الظن باليهود والنصارى حتى ظنوا أن عدم شتمهم لرسول الله هو احترام لهذا الرسول، وتقدير لهذا الدين وأهله؛ وهذا غاية ما يبلغه العقل من السخف والجهل عندما يظن ذلك ويعتقده، فالله سبحانه وتعالى قد أعلمنا منذ أنعم علينا بهذا الدين ومنّ علينا بهذا الرسول أن قلوب هؤلاء القوم تنطوي على بركان من الحقد والمقت والكراهية والبغضاء. سواء ظهر ذلك في أقوالهم أو أحسنوا التفكير والتدبير فأخفوه عن لسانهم وأخرجوه في صورة جيوش تحمل كل أسلحة الدمار والهلاك والخراب،

وتستهدف كل مكان يرون أن الإسلام يمكن أن يقوم فيه، وفي صورة مؤامرات تدبر لتدمير الإسلام وإبادة أهله، وفي صورة رصد لكل ما هو قوي أو حيوي؛ لكي يهدّوا قوته، ويفسدوا حقيقته، أو يحرفوا وجهته بما يتفق وأغراضهم وخططهم، وهذا أمر لم يكن يحتاج إلى جهد منى ولا من غيري لأبينه؛ فقد أثبته التاريخ وأكده الواقع في صورة مئات الآلاف من المعارك الدامية والمواجهات الحامية. كما أثبته الواقع لآلاف الخطط والمؤامرات التي أورثت أمة الإسلام فقرا وجهلا ومهانة كما نرى اليوم.

وهناك شهادة أخرى ما كانت أيضًا تحتاج إلى جهد من أحد لو أننا قرأنا كتاب الله الذي جعل فيه عزنا، وفي تعاليمه مجدنا وفخرنا.

فلو نظرنا في كتاب ربنا سبحانه لوجدنا فيه قوله تعالى:

﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ (البقرة: ١٠٥) وإذا قلنا

لا بأس بعدم تمنيهم الخير فذلك شأنهم مع سوء نيتهم وفساد طويتهم وسواد قلوبهم، لكن الأمر ينتقل إلى مرحلة أخرى أكثر إيجابية في الشر عندما نواجه بقول ربنا سبحانه:

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا ﴾، ثم يطلعنا الله تبارك وتعالى وهو العالم الخبير

بطوايا القلوب وأعماق الصدور بالعلة وراء هذه الأمنية الشيطانية بقوله تعالى: ﴿ حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾، وحتى لا يظن ظان أنهم يفعلون ذلك جهلا بحقيقة ديننا وعدم معرفتهم برسالة نبينا يعاجلنا ربنا سبحانه وتعالى بقوله:

﴿ مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّ ﴾، ولو أن الأمور وقفت عند حدود تمنيهم لشركنا وإصرارهم الأكيد على إخراجنا من

ديننا مهما كانت التضحيات، ثم لم يتطور الأمر إلى ممارسات فعلية وخطوات عملية؛ لوسعنا الصمت ولعذرنا بالجهل. لكن الأمر يخرج عن كل الحدود ويتجاوز الأمنيات إلى الخطط والمؤامرات ويتحول من مجال الخطط إلى مجال الإعداد والتكوين ثم يخرج من مجال الإعداد إلى إعلان الحرب وبدء الهجوم تحت أي ذريعة من الذرائع، وبأي حيلة من الحيل التي برعوا فيها والتي لا يعجزهم تلفيقها، فنجد أنفسنا أمام قول الخالق سبحانه:

﴿ لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗا ﴾ (آل عمران: ١٨٦).

وما كنا بحاجة إلى التغاضي والتجاهل بعد أن أنذرنا الله بما سيقع منهم، وإخبار الله لا يحتاج تدليل أو برهان، ومن أصدق من الله قيلا. ومن أصدق من الله حديثا. لكننا لم نحسن التلقي ولم نعد العدة. حتى وجدنا أنفسنا أمام قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (البقرة: ٢١٧).

فهل هناك سذاجة وبلاهة أشد من حالة من يظل في غيبوبة عقلية وجهالة تاريخية وضلالة دينية وعقائدية فيحسن الظن بقاتله ويرجو الخير على يد شانئه وحاسده ومبغضه؟!!!

إن هذا ما نشاهده من أحوال أبناء هذه الأمة، وكأنهم كانوا يتوقعون من الكفر غير ذلك أو يظنون به أقل من ذلك، ويطمعون في عدله وإنصافه أو عقله، والله سبحانه وتعالى هو القائل:

﴿ وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡ ﴾ (البقرة: ١٢٠).

ففي أي شئ تطمعون، والخالق الحكيم هو الذي يعجب من حالنا بقوله سبحانه:

﴿ أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٧٥).

إن أمر أمة الإسلام لعجيب، وإن شأنها لمحير مؤلم!!

كيف ترجون من هؤلاء القوم احتراما لكتابكم وصيانة نبيكم وهم الذين حرفوا كتبهم وأهانوا نبيهم وألصقوا به أبشع

التهم وأحط الرذائل ولم يتورعوا عن رمي السيدة البتول بالفاحشة مع من أسموه يوسف النجار.

إن الأمة الجادة تحمل أعداءها على احترامها، وإن الأمة اللاهية تطمع الماجنين واللاهين فيها وتجرؤهم على النيل منها.

ومن هنا فإنني أرى أن أمة الإسلام قد أساءت إلى دينها وأهانت نبيها قبل أن يسئ إليه هؤلاء المجرمون.

بل إن ما فعله هؤلاء قد فعلت قريش أكثر منه وأشد ولم يقف فعلهم عند حدود الكلام، بل تخطاه إلى السجن والحصار والاعتداء بالضرب والخنق وإسقاطه في الحفرة التي حفرها أبو عمرو الفاسق في معركة أحد وسقطت ثنيتاه ودخلت حلقات المغفر في وجهه الشريف فلم يستغرب منهم ذلك؛ لأنه يعلم أنها الحرب وأنه الصراع الذي جعله الله سببا لاستمرار الحياة عندما قال سبحانه:

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (البقرة: ٢٥١).

إن هذا الانفعال الوجداني الثائر كان يكون مقبولا ومعقولا لو أننا أطعنا الله وأطعنا الرسول وأعذرنا إلى ربنا بالاستمساك بشريعته وإلى نبينا بإتباع سنته، ويومها لن نطلب من هؤلاء الخنازير اعتذارا؛ لأننا سنكون قد عقلنا عن ربنا قوله:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (المائدة: ٥١).

ويوم نستجيب لهذا النداء الكريم فنحرر ولاءنا لربنا ونتخذ المؤمنين أولياء لنا من دون الكافرين ونعتصم جميعا بحبل ربنا؛ يومها لن نحتاج إلى اعتذار من أحد، لسبب واحد هو أن أحدا في الأرض لن يجرؤ ولن يستطيع أن يجهر بشئ من هذه السفاهات. ولن تجرؤ حكومة أن تنسى نفسها فتعرض وطنها وقومها وأمتها للخطر العظيم والهلاك المبين بحجة احترام الديمقراطية وحرية التعبير.

إن أعظم رد ينهض ليؤدب هؤلاء المجرمين هو أن نزداد استمساكا بديننا والتفافا حول نبينا، وعودة حميدة صادقة واعية إلى منهج ربنا سبحانه وتعالى، وأن تلتئم الشعوب مع قيادتها وتندمج القيادة مع الشعوب في منظومة حب وولاء وانتماء لهذا الدين العظيم.

إن ما حدث في الدانمرك وفرنسا وانجلترا والسويد والنرويج وجميع دول أوروبا لم يفاجأ العقلاء الأتقياء؛ لأنهم لم يتوقعوا منهم شيئا غير هذا، بل إنهم يعرفون من أحقادهم ومكائدهم ما هو أعظم من هذا بكثير لأنهم يفقهون عن ربهم قوله:

﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ (البقرة: ١٢٠).

لكن الجديد الذي أضافته هذه الأحداث أو الذي ينبغي أن يضاف إلى رصيدنا هو أن القرب الذي ظننا أنه نسي

التدين والتعصب الصليبي باسم العلمانية واللادينية ما يزال يستعر نارا ويتلظى تعصبا ويمور غضبا باسم النصرانية وافتداءً للصليب، وهذا يعني أن التحدي المفروض علينا اليوم تحدٍ ديني، وأن الشعور الباعث عليه شعور نصراني صليبي ولا يمكن أن ينهض للتحدي إلا شعور ديني مماثل.

وهذا الشعور الديني هو الذي نجح الغرب في تبشيع صورته إلينا، وأشعرنا أن الانطلاق في التعامل مع الآخرين من منطلقات دينية هو رجعية كريهة وتعصب مقيت.

والمؤسف والمؤلم أن قياداتنا الفكرية التي تغذت على هذا الفكر الماكر الخادع قد بلعوا الطعم وصدقوا هذا المكر الشيطاني وانقلبوا إلى بلاد المسلمين يبشرون بفكر الغرب وحضارته حتى بلغ الأمر ببعضهم أنه أنكر عروبة مصر واجتهد ليبرهن على أنها تابعة لحضارة البحر الأبيض المتوسط وأن كل المعطيات الفكرية والتاريخية والجغرافية تؤكد هذه الحقيقة، ثم ذهب إلى النتيجة التي يريد الوصول إليها بقوله: «إن بين مصر وأوروبا زواجا كاثوليكيا (أي لا يقبل الطلاق)، وأنه إذا أرادت مصر أن تأخذ بأسباب التقدم والازدهار، فليس أمامها إلا أن تتبع خطى أوروبا في خيرها وشرها وحلوها ومرها»(١).

ورأينا موجة المنبهرين بالغرب تمتد في فراغنا العقدي الذي صنعه الاستعمار فتنبت نبتا خبيثا تمثل في الصحافة الإباحية والأزياء الفاضحة والأفلام الهابطة والمسرحيات الماجنة، وإباحة الخمر وبيوت البغاء وإقامة نوادي القمار. وواكبها تعتيم على الفكر الإسلامي وصل إلى حد المحاربة والتصفية والمحاكمات الظالمة التي استهدفت خيرة أبناء الأمة. كل هذا التدبير الشيطاني تم في عواصم تلك البلاد ونُفّذ في عواصم بلاد الإسلام بصورة تركت الحليم حيرانا، وكأني أسمع إلى نبي الله لوط يقول: ﴿ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ﴾ (هود: ٧٨).

إن الأمة التي ترضى أن تعطل شريعة ربها وسنة نبيها، وتستبدل بهما أهواء هؤلاء المجرمين؛ أمة أساءت الأدب مع ربها وأمعنت في إيذاء نبيها. ولهذا فإنني لا أطالب النصارى واليهود أن يعتذروا لشعوبنا، وإنما أطالب المسلمين أن يعودوا لربهم، وأن يعتذروا لنبيهم اعتذارا يتعدى القول الرخيص إلى العمل الجاد والالتزام الحقيقي بكتاب الله منهجا وبدين الله شريعة وبرسول الله صلى الله عليه وسلم:

﴿ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾ (الأحزاب: ٤٥، ٤٦).

ويومها يكون لنا عند ربنا حق النصرة والتمكين في الأرض مصداقا لقوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾ (محمد آية: ٧).

---

(١) مستقبل الثقافة في مصر – طه حسين.